في الحكاية الشعبية

قاسم مطر التميمي

الحكاية الشعبية نتاج عقول ومواهب متعددة تفرزها الاساطير والمعتقدات الخرافية ، وقد تفرزها ايضاً الحروب والكوارث الطبيعية وربما ترجع في اصولها الى وقائع حقيقية تتناقلها الافواه فتضيف اليها او تحذف منها مما يجعل رواياتها متباينة من شخص الى شخص ومن جيل الى آخر

وهي -أي الحكاية الشعبية- تعتمد في انتشارها على المشافهة دون الكتابة ولا تعرف لها مبدعاً واحداً، انها من ابداع المجتمع كله، والمجتمعات المتشابهة التي يختلط بعضها بالبعض لاسباب جغرافية او تاريخية او دينية او تجارية او سياحية تنتشر فيها ايضاً حكايات شعبية متشابهة، وقد يأتي التشابه في الحكايات الشعبية نتيجة الترجمة عن الاداب الاجنبية مثل حكاية (الانتظار) التي نجد لها ما يشبهها ست الحسن العراقية التي تشبه الى حد ما حكاية في الادب الالماني حكاية (سندريلا) الاوربية. وحكاية (ماهيوال) الهندية شبيهة بحكاية (مجنون ليلى) العربية، فالعاشقان في الحكايتين ينتميان الى اسرتين كريمتين ومكانتين اجتماعيتين مرموقتين غير ان الحب اوصلهما الى حافة الجنون؛ فهذا قيس الذي حرم من محبوبته ليلى يهيم على وجهه في البرية يألف الوحش ولا يأنس للبشر، ويقول شعراً يثير الشفقة والرثاء. وذاك (ماهيوال) المهراجا الثري الذي يمتلك القصور والضياع والمزارع، يقع بحب فتاة فقيرة تبيع الجرار الفخارية في دكان قريب من قصر. وقد فتن بروعة جمالها وسحر انوثتها وعذوبة منطقها فذاب بها وجداً حتى ملكت عليه احاسيسه، ولم يكن له من سبيل للحديث معها الا ان يشتري منها جرة فخارية في كل يوم، لا بل في الصباح والظهر والعصر، يساومها على هذه او تلك ويجادلها لا لشيء الا ليسمع صوتها ويطرب لحديثها حتى امتلأ قصره بالجرار، ومع كل هذا الحب الا انه كان يتهيب مصارحتها ولم تكن الفتاة لتعلم ان هذا الرجل قد شغف بها حباً ولم تكن ايضاً معجبة به وانما كانت معجبة بزيه الفاخر وبمنديله الحريري الموشى بالخيوط الذهبية. وقد هالها يوم ان سقطت جرة من يدها فخدشت ذراعها ان يمزق المهراجا المنديل الثمين ليضمد جرحها فصاحت دون وعي منها: "لا!" وعندما رأت الدهشة على وجهه قالت على استحياء: " ما كان يجب ان تمزقه ، انه منديل ثمين". فأجابها ماهيوال مبتسماً : " فداك الف منديل مثله!".

في ذلك اليوم فقط ادركت (نرجس) ان لها في قلب هذا الرجل منزلة كبيرة لا تنافسها عليها امرأة اخرى. ولكن ماهيوال الذي ضيع امواله وضياعه وقصوره بانشغاله بهذه الفتاة لم يبق عنده سوى البدلة الفاخرة التي يرتديها المهراجات الكبار، وهذه ايضاً باعها ليشتري بثمنها الجرار، وهكذا لم يبق عنده من حطام الدنيا شيئاً. لقد خسر كل شيء ولكنه كسب في النهاية قلب الفتاة التي احبها فكان يلتقي بها عند ضفاف النهر وعند المروج الخضر ويبثها تباريح قلبه الهائم بحبها.

وطلبت منه ذات يوم ان يطعمها سمكاً، فوعدها ان يحقق لها رغبتها في اليوم التالي وقبل الموعد المتفق عليه بساعات ذهب الى النهر والقى صنارته فيه. انه بارع في صيد السمك بالصنارة ، فمنذ ان احتواه الفقر المدقع وهو يعتمد في عيشه على ما يهبه له هذا النهر المعطاء، ولكن الحظ لم يحالفه في ذلك اليوم، فلم تقترب سمكة واحدة من صنارته، غير انه لم ييأس واوقد قرب الشاطئ ناراً يغدق عليها حطباً كلما ذوى لهيبها املاً في ان يشوي عليها السمكة التي لم يصطدها بعد. واقترب الموعد، ومع اقترابه تسرب اليأس الى قلب ماهيوال فرفع بصره الى السماء مناجياً ربه (كرشنا) الذي تهطل الامطار من لحيته الكثة، قال: " يا الهي اريد سمكة من اجل نرجس...هل هذا كثير؟" ولكن كرشنا كان اطرش في ذلك اليوم فلم يسمع نداء ماهيوال ولا توسلاته. لقد خذله الهه فهل يخذل هو نرجس؟ لا، لقد ارتعش بدنه واضطربت مشاعره حالما رآها من بعيد قادمة اليه تمشي على مهل بين الاشجار.

في تلك اللحظة وصل الجنون ذروته فأمسك سكيناً واقتطع من فخذه قطعة لحم بحجم السمكة والقاها في موقد النار وعمد الى جرحه النازف فلفه بالخرق البالية التي معه، واضطجع ال جوار الموقد لا يقوى على النهوض، وجاءت نرجس لتجلس على مقربة منه، وقد انكرت عليه هذه الاضطجاعة فتعلل بالمرض ثم ما لبث ان قدم الشواء فتذوقته ومجته، قالت: "ليس هذا طعم سمك" قال: " لم يكن النهر سخياً معي هذا اليوم..كلي يا حبيبتي!".

وسألته عن ضعفه وتوجعه وشحوب وجهه، ولم تعلم ان الرجل قد فقد ثلثي دمه ولم تبق في عروقه غير الوشالة، من اين لها ان تعلم!

قال: انها وعكة ربما تنتهي قريباً والم مبرح لعله آخر الالام، اقتربي مني يا حبيبتي لامعن النظر في وجهك، وليكون آخر ما ارى قبل ان استسلم للنوم! واطبق جفنيه على صورة وجهها، وبقيت تتأمله ساعة وتبثه تباريح حبها وتترنم باغنيته التي طالما رددها على مسامعها:"دل ديه جاليه"، دل ديه جاليه، دل ديه جاليه ايسه، هاك قلبي، هاك قلبي ، هاك قلبي الى الابد".

وتنتهي حكاية الحب هذه بمشهد مأساوي: نرجس يتصاغر حجمها كلما ابتعدت عائدة الى بيتها حتى تختفي بين الاشجاروالسنة اللهب المتوقدة تخبو في الموقد ويتحول كل شيء فيه الى رماد، وماهيوال يعاني سكرات الموت حتى يلفظ آخر انفاسه ويتحول الى جثة هامدة، ثم يأتي الليل ليسدل ستارة داكنة على هذا المشهد الكئيب ثم تعود الشمس لتشرق من جديد معلنة عن نهار ليس فيه ماهيوال.

وهذه الحكاية وان كانت منافية للحقيقة موغلة في الخيال، اذ ما يكاد المرء يطلع على تفاصيلها حتى يحكم بمجانبتها للمنطق الا انها تجسد امام القارئ صورة رائعة للحب العذري الرائع وللوفاء بأجمل مظاهره واحلى صوره، وهكذا هي الحكاية الشعبية دائماً لا تروى الا لتعزيز قيمة اخلاقية.

ومن الحكايات الشعبية العراقية (عربياً وكردياً) حكاية (خرباره) تلك المرأة النزقة الثرثارة التي اوصلت زوجها الى حافة الياس فحملها ذات يوم والقاها في غيابة بئر عميقة ثم شعر بالعطف عليها في اليوم التالي فذهب الى البئر ورمى اليها بحبل لينقذها ولكنه انقذ رجلاً من الجن كادت خرباره ان تجننه! وابدى الجني امتناناً كبيراً لزوج خرباره ووعده بمكافأة لا يحلم بها ...الى آخر الحكاية.

والحكايات الشعبية الوانها مختلفة وصيغها متباينة ومع اختلاف الوانها تختلف اغراضها كما تختلف الميادين التي تخوض فيها. ومن هذه الميادين: "الحب والكره، والشجاعة والجبن، والوفاء والغدر، والخيانة والامانة، والذكاء والبلادة، وحب الناس والخير والعمل، وغالباً ما تقف الحكاية الشعبية ضد الصفات الرديئة غير المستحبة كالتمويه والخداع والادعاء والغرور والعجرفة والكسل والطفيلية والغش والطمع والتكبر وعدم احترام المرأة والطفل والاخرين".

والحكايات الشعبية كثيراً ما كانت تروى في ليالي الشتاء الباردة حول مواقد النار، يستمع اليها الصغار والكبار، وغالباً ما تضطلع بمهمة الرواية للصغار النساء العجائز اللاتي تتميز رواياتهن بالصور الغريبة الموغلة في الخيال التي لا تخلو من مشاهد مخيفة مفزعة، يتعمدن فيها اخافة الصغار لمنعهم من اللعب والعبث والسهر فيلجأون الى اسرتهم ويدفنون رؤوسهم تحت اغطية سميكة طلباً للامان.

اما مجالس الكبار فيتصدرها (القصة-خون) الذي يروي الحكايات الطويلة المنمقة والمطعمة بالشعر الغنائي والكلام المسجوع، وهي اساطير تدور في الغالب حول شخصيات حقيقية معروفة في التاريخ، واشهر هذه الحكايات؛ (المياسة والمقداد) و (عنتر وعبلة) و (ابو زيد الهلالي) و (الحسن الصائغ البصري) و (الشاطر حسن) و (بئر ذات العلم). ومعظم هذه الحكايات قد انتقلت من المشافهة الى التدوين فصدرت في كتيبات صغيرة يقرأها انصاف المتعلمين، وكان لها قبل نصف قرن حضور وانتشار وتحتل واجهة المكتبات والاكشاك، اما اليوم فلا يكاد يراها احد ولا يعثر عليها حتى وان بحث عنها، وربما كان لهذه الكتيبات اسهام مؤثر في نشوء القصة وتطورها في بلادنا، وان كان الراي السائد يعزو الفضل كله الى ما نقل الينا من الاداب الاجنبية. وقد قيل ان القصة بمفهومها الحديث في امريكا بدأت عند (ناثانيل هورثون) **Nathaniel Hathorne** في مجموعته **Twice told Tales** أي الحكايات المعاد سردها.

وتبدأ الحكاية الشعبية عادة بقول ١٠القصة-خون): " كان ما كان، كان في قديم الزمان" او: " كان ما كان، كان في سالف العصر والاوان" ومن عبارات الافتتاح ايضاً؛ "جان ما جان الله ينصر السلطان" اما اذا كان (القصة-خون) من اعداء السلطان والحكم العثماني انذاك فإنه يبدل كلمة (ينصر) بـ (يصلخ) فتكون العبارة: "جان ما جان الله يصلخ السلطان". ومن عبارات الاستهلال التي تسعملها النساء: " يا عاشقين النبي صلوا عليه!".

وتختم الحكاية الشعبية عادة بعبارة: "وتعيشون وتسلمون"، او : "لو بيتنا قريب جان جبتلكم طبق حمص وطبق زبيب".

اما اذا آلت احداث الحكاية الى زواج الحبيب من حبيبته، فان ختم الحكاية غالباً ما يكون بعبارة: " وعاشوا بثبات ونبات وخلفوا صبياناً وبنات".

الهوامش:

١- كاظم سعد الدين-مجلة (المثقف) العدد ٣٠/ ١٩٦٢ .

٢- القصة- خون: فارسية تعني (رواية القصة) ومثلها (روزا -خون) أي (راوية التاريخ) وتطلق عادة على رواة مقتل الامام الحسين (ع) في كربلاء.

بيت الحرية

من المحرر

عندما وقف الزعيم الهندي الاحمر(رامون) امام الجنرال دزموند قائد فرقة البنادق السابعة ليسلم قابله وقومه من مجاميع لـ (النافوهو) بكل احترام حيث نقلوا الى منطقة اخرى في اريزونا ليمتد خط السكة الحديد بعيداً عن صخب الهنود الحمر وبنادقهم، وقبل ان يغادر (رامون) موطن اجداده قال للجنرال "سيدي الجنرال ..لكل امة كأس من الصلصال تجتمع فيه روحها وقد انكسر كأسنا الان" ثم ركب العربة المخصصة له وغادر ارضه الى ارض جديدة. سقت هذه الحكاية المؤسية لاقول ان كأسنا لم ينكسر بل ازداد صلابة بعد كل ذلك التاريخ الطويل من الصراع الازلي بين الحرية والدكتاتورية، وقد آن لهذه الارض الطيبة ان تفرز عن معطياتها الشعبية وتأخذ الاثنيات القومية والدينية فيها حريتها في العمل وفي تجسيد تقاليدها وعاداتها ومعتقداتها بحرية دون مساس بحرية الاخرين وبافكارهم ومعتقداتهم، ذلك هو شرط الحرية وحقوق كل مجموعة في ممارستها دون مس بحقوق الاخرين في ممارسة حقوقهم، وتلك هي التظاهرة العملية لاعادة صياغة العراق موحداً حراً عند ادراك كل منا حق الاخر في تجسيد ما يعتقد والبحث في مكنونات هذا الشعب وافكاره وانشاء مراكز للبحث في تلك الاثنيات والطوائف لكي يعرف العراقي قبل غيره ماذا يمتلك العراقي الاخر في المندى والمسجد والحسينية والكنيسة ويكون على علم بأعياد الاخر وتقاليده ..ان حوار البعض مع البعض الاخر يعيد صياغة الثقافة العراقية الشعبية ويمتن من علاقات العراقي بالعراقي فقد ذهب زمن الكبت العنصري وعلينا ان نبني جميعاً بيتنا العراقي..بيت الحرية.

اغطية الرأس عند البغداديين

مهدي حمودي الانصاري

شاع منذ العشرينيات من القرن الماضي، في بغداد واطرافها ارتداء العديد من أغطية الرأس ومن هذه الأغطية التي كان البغداديون يعمرون بها رؤوسهم ولاتزال في حاضرنا.

السيدارة الفيصلية نسبة الى الملك فيصل الاول، لبسها افندية بغداد، استوردت من الخارج ثم من بعد صنعت محلياً من القماش والجبن المكبوس، ومن الوانها القهوائي والاسود والنيلي والرصاصي ، وابراهيم السدايري صاحب مكتبة المستقبل في سوق السراي اول من صنع السيدارة وغنى مطرب العراق الاول محمد القبانجي لها.

يا حلو يابو السدارة.

الكشيدة: من اغطية الراس ايضاً " الكشيدة" كان يعتمرها الحجاج والوجهاء وآخرون يلف قماش مطرز بالحرير الاصفر كلبدون على طربوش احمر، يبلغ القماش طولاً ذراعاً او اكثر وبعد ان يلف دائرياً يخرز بالدبابيس وبنسق حول الطربوش الاحمر وبشكل متناسق ومتماسك، وكان الكتبي محمود قالبجي في سوق السراي يعمل قوالب الكشايد، لذا اطلق عليه قالبجي.

العرقجين: يخيط من قطعتي قماش الخام او الحرير الملون والمقلم والسبع الوان، والعزيزي، والبته، ومن الوانه الابيض والملون، والمشجر والمشبك المحاك بخيوط القطن.

والعرقجين من اغطية الرأس للرجل والشاب البغدادي، حيث كان البغاددة لا يخرجون في الماضي حاسري الرؤوس، وهو مركب من كلمتين عرق مرشح الجلد، وجين بمعنى جامع.

يلبس العرقجين منفرداً او تحت العمة والكشيدة وتلف عليه "الجراوية".

العقال: من اغطية الرأس ومن اسمائه القحطاني، والزبيري، والعكيلي والمكصب، يعمل من وبر الابل او الصوف محلياً، وبحجوم مختلفة ، منه الرفيع والغليظ تلف خيوط سود بريسم على مجموعة من خيوط " الساتلي" يلبس فوق اليشماغ الاسود والاحمر، او الغترة وبوضع متواز والعقال من اغطية رأس رجال العشائر والوجهاء واصحاب العلاوي.

العمامة: منها البيض والسود والخضر، تدلل على لابسها، فالعمة السوداء والخضراء يعتمر بها السادة العلويون، وذات اللون الابيض للشيوخ وطلبة العلم والمعرفة.

الجراوية: يشماغ ابيض مخطط بالاسود، يبرم كالحبل ويلف كالعمامة فوق العرقجين.

وللجراويات جمع والمفرد "جراوية" ولها عند البغداديين مسميات ولفات متنوعة مختلفة.

هكذا كانت اغطية الرأس عند البغداديين (ايام زمان) ودونما ريب، ان هذه الاغطية كانت تكمل قيافة الرجال الخ..واليوم قد اختفت اغطية الراس من على رؤوس البغداديين وبقى القليل القليل منها.

وللمرحوم الصديق الكاتب الفلكلوري، عزيز جاسم الحجية مقالة نفيسة نشرها في مجلة التراث الشعبي، الزاهرة تحت العنوان " اليشماغ و الجراوية" بعددها الثاني عشر السنة السادسة ١٩٧٥م يقول فيها " تتلخص لفة الجراوية بطي اليشماغ على شكل مثلثين يضع صاحب الجراوية احد راسي المثلث تحت قدميه ويمسك براس المثلث المقابل بيده اليسرى ويرفعها الى الاعلى ثم يبدا بلف رأس المثلث الوسطي بيده اليمنى نحو صدره الى ان يصبح اليشماغ لفة واحدة فيمسكها البغدادي من منتصفها بيده اليمنى وينفضها نفضة قوية وذلك برفع يده الى فوق وهي ممسكة باليشماغ الملفوف وانزالها بقوة الى الاسفل محدثاً بذلك صوتاً ثم يبدأ بلف الجراوية حول العرقجين واضعاً بداية اللفة حول اذنه اليسرى ثم يكمل بقية اللفة حول رأسه بحيث يضع نهاية اليشماغ بين طيات الجراوية نفسها كي لا تختلف هيئتها عند القيام بعمل ما، وللجراويات في بغداد انواع مختلفة لها تسميات خاصة منها:

لفة ابو جاسم ، وهو اصل الاشقياء في بغداد ممن شقوا عصا الطاعة على الحكومة في عهد الحكم العثماني.

اللفة العصفورية: تتألف من طيتين تركب احداهما على الاخرى بشكل بديع لا انفراج بينهما وقد سميت بالعصفورية نسبة الى علي بن عصفور، وهناك من يدعي نسبتها الى رجل اسمه، قدوري بن عصفور من محلة الفضل، واللفة العصفورية يستعملها سكان محلة باب الشيخ ومحلات الحيدرخانة والفضل والمهدية في بغداد.

اللفة الشبلاوية: تتألف من ثلاث لفات بشكل اسطواني قاعدته اللفة الاولى وسميت بهذا الاسم نسبه الى محلة البوشبل في بغداد.

لفة العدام: أي لفة الاعدام وهي القضاء على المجرم شنقاً او رمياً بالرصاص وسميت بهذا الاسم لان الذي ان يلفها آنذاك لا يبالي بأوامر الحكومة بعد ان وطن نفسه على حكم الاعدام مختالاً بمشية ساحرة مصعراً خده للناس.

اللفة المهداوية: تتألف هذه اللفة من ثلاث طيات مع عذبة من اليشماغ طولها حوالي ١٥ سم تنحدر خلف الرقبة، وهي خاصة بسكان محلة المهدية.

اللفة الفضلاوية: كانت تسمى قديماً (القلعلية) لان سجن بغداد كان في قلعة المدفعية، ومن كان يقضي مدة محكوميته من السجناء هناك كان يلف يشماغه اربع لفات مع عذبة تتدلى على الرقبة وتكون الطية الاولى منحدرة على الجبين وتسمى حالياً باللغة الفضلاوية.

سي لفة: ثلاث لفات اثنتان منها ذات بروز الى الجهة اليسرى مع عذبة متدلية من الجبهة اليمنى وشاعت هذه اللغة بين سكان محلة الحيدرخانة.

في الامثال السومرية وامتداداتها

شريف هاشم

كانت الامثال والحكم الواردة في العهد القديم تعتبر اول مجموعة من نوعها في العالم حتى تم التعرف على الحضارة المصرية القديمة واكتشفت هناك مجموعة من الامثال والاقوال التي يسبق تأريخها الامثال العربية بزمن بعيد وتتميز الامثال السومرية بان مدلولاتها كونية تصلح لكل زمان ومكان، وفي ذلك دليل على اخوة البشر ووحدة الانسانية. ومن هذه الاقوال قول سومري يقال بحق الذين يحاولون تغطية زلاتهم واخطائهم بحجج واعذار واهية في حين ان تلك الاخطاء واضحة ولها دلالة تدل عليها، وهو (لا حمل من دون رجل، ولا سمن من دون اكل) ويقول المثل عندنا (ماكو دخان من غير نار). ويقول المثل السومري حين تأتي الامور معاكسة لما يريده الانسان (ان جئت النهر... ماؤه آسن او جئت البستان... ثمره عفن) ويقال عندنا في مثل هذه الحالة (لو جيت للشط نشف، ولو جيت للنخل حشف).

ويقول السومريون في الشخص الذي يعمل فينتفع من عمله الاخرون دون نفسه (غسال الملابس ثوبه وسخ) ونحن نقول (أبن الاسكافي... حافي) ويقولون في اهتمام الناس بمظهر الشخص المتمثل بملابسه دون الاهتمام بحقيقة شخصيته (العيون تتجه لاحسنهم ملبسا) ويقال عندنا في مثل هذه الظروف (اكلن ياهدومي). ويقولون لمن يبالغ في التهيؤ للامور قبل وقوعها (هيئ الطوق قبل ان يصيد الثعلب) اما عندنا فيقال (حضر المهد قبل الولد) ويقولون لمن يحاول التخلص من امر سيء فيقع في اسوأ منه (هزم الثور الوحشي... فلقي البقرة الوحشية) ونحن نقول (كالمستجير من الرمضاء بالنار). واخيرا يقول المثل السومري في مدح التعاون بما ينفع وذم التعاون بما لا ينفع (يد بيد تبنى البيوت، ومعدة بمعدة تهدم).

مكتبة

الشعوب البدائية في وقتنا الحاضر

تأليف: ج. بيرج
ترجمة: محمد محمد موسى

يستعرض المؤلف وجود الشعوب البدائية المنعزلة في اقاليم بالغة الصعوبة مناخياً مثل حوض الكونغو وشبه جزيرة الملايو وحوض الامزون وتسمى هذه الشعوب المنعزلة الصغيرة نجرلو في غابات افريقيا والاندمان في اسيا في جزر اندمان والسيانج في الملايو والاييدتا في الفلبين والتابيرو في غانا الجديدة وهم جميعاً اقزام عدا قصار القامة في غابات الامزون، ويدرس بيرج تفاصيل الحياة الاجتماعية لهذه الاقوام وعاداتها ومعتقداتها بشكل ممتع.

مط القاهرة-١٩٥٧-٤٥٨ ص

ازياؤنا الشعبية

تأليف: د. نمر سرحان
عمان: ١٩٧٠

دراسة عن الازياء الشعبية الفلسطينية وعن اساليب التجميل والزينة عند النساء وتفاصيل حياكة الملابس وتطريزها وما تتضمنه من رسوم ونقوش على وفق مناطق القدس والخليل وغزة ويافا..الخ.

اعلام الصناع المواصلة

تأليف: سعيد الديوه جي

يبحث الكتاب في صناعات الموصل واعلام الصناع فيها محتوياً على مقدمة تاريخية عن الموصل وفصول اختص كل فصل فيها بصناعته مثل النسيج والقطن والصوف والحرير وفصل عن اعلام الصناع وآخر عن صناعة التحف المعدنية وفصل عن البناء والمرمر والجص والآجر وآخر عن الزخارف الخشبية وعن تزويق الكتب.

٢٦٣ص- مط الجمهورية- الموصل-, ١٩٧٠

ستوديو ثقافة شعبية

بدوية تغزل الصوف لصناعة البسط

عاملات السليقة في الموصل